

تطوير ذات المسلم وتفعيلها في ضوء الكتاب والسنة

**Developing and activating the Muslim in the light of the
Quran and Sunnah**

الدكتورة / حبيبة شهرة

جامعة: عمار الثليجي - الأغواط - الجزائر

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية والحضارة

قسم العلوم الإسلامية

Dr. Habiba Chohra

**University: Ammar Thelidji - Laghouat - Algeria
Faculty of Humanities, Islamic Sciences and Civilization
Department of Islamic Sciences**

ملخص البحث

يهدف البحث إلى إبراز جوانب التنمية الذاتية في ضوء التربية الإسلامية، وما هو أثر التنمية الذاتية على الفرد المسلم من خلال التربية الإسلامية، وأسعى من خلال هذا البحث إلى التعريف بمفهوم التنمية الذاتية في الإسلام، وخصائصها، وبيان كيف اهتم الإسلام بالتنمية الذاتية من خلال ذكر بعضاً من جوانبها والاستدلال بما ورد في القرآن الكريم وما جاء في السنة النبوية عن هذه الجوانب لعرض التجربة الناجعة والمثمرة في الإسلام، وكذلك بيان الوسائل المعينة للفرد المسلم على تحقيق التنمية الذاتية في حياته، ثم ذكر الأثر الذي يلامس الفرد من خلال التنمية الذاتية في ضوء التربية الإسلامية، وقد استخدمت في دراسته المنهج الاستدلالي القائم على الاستشهاد والاستدلال بما ورد في القرآن والسنة والتي تختص بالتنمية الذاتية.

الكلمات المفتاحية: التنمية الذاتية، الفردية، التربية الإسلامية، الأخلاقية، الدين، الإسلام.

Abstract

This research highlights the various aspects of self-development and its impact on the Muslim individual in light of Islamic Education. It first introduces the concept and characteristics of self-development in Islam, and explains how Islam is concerned with special type of development through naming some of its aspects and inferences made from the Qur'an and the Sunnah. Such a development however, relates to the effective viewing of experience, and to the statements of the means assigned to Muslims to achieve self-development. This paper also discusses the impacts affecting the individual through self-development. This research uses curriculum indicatives based on the Qur'an and Sunnah that are related to self-development.

Keywords: self-development, individual Muslim, Islamic Education, moral ,religion, Islam

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه محاولة من أجل التأصيل الموضوعي للسنة النبوية في القضايا المعاصرة والموضوعية الهامة التي يحتاجها المجتمع الإنساني، والبحث في إبراز عناية السنة النبوية بذات الإنسان وتفعيلها في المجتمع لتحسينه من الركون إلى التبعية للغرب وتجسد مفهوم التنمية العام والذي يعني النمو والزيادة في جميع جوانب الحياة.

أهداف البحث

إن الهدف من هذا البحث هو إبراز العناية بنصوص القرآن والأحاديث النبوية الشريفة ودورها في تنمية فاعلية الفرد المسلم. وإظهار النموذج الراقي في المجتمع الإسلامي وإبراز جانب الإبداع والتكامل عند الصحابة ؓ

كنموذج للجيل الرائد، ومساعدة القائمين على تنمية فاعلية الجيل تنمية صحيحة على القرآن الكريم والهدى النبوي في هذا الموضوع الهام.

إشكالية البحث

وهل الذات التي نسعي لتفعيلها هي الذات التي تحقق هدف الأمة الإسلامية؟ وهل الذات التي تشكل شخصيتنا تسير على هدى الرسول ﷺ؟ وما هي الينابيع التي تستقى الذات منها زادها؟ أسئلة أحاول الإجابة عنها من خلال هذا البحث وذلك وفق رؤية شرعية من الكتاب والسنة.

مقدمة

ينظر الإسلام للتنمية عموماً نظرة متكاملة بكافة أشكالها، وأنواعها، فالتنمية بمفهومها الإسلامي تجسد مفهوم التنمية العام والذي يعني النمو والزيادة، لتشمل كل جانب من جوانب الحياة، فالحياة في نظر الإسلام يجب أن تنمو نمواً متكاملماً متوازناً، لأن عدم النمو يعني التوقف والتخلف والتراجع، ثم الموت، ومن أهم جوانب التنمية التي يهتم بها الإسلام هو جانب التنمية الذاتية والتي تنطلق من ذات الفرد وجهده ومجهدده، لأنها تعتبر المدخل للتنمية الشاملة المستدامة، فلا يمكن أن تتم مجالات التنمية الأخرى سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أم اجتماعية دون أن يكون لتنمية الذات فيها أصل، فالدافع الحقيقي لبرامج التنمية الأخرى هو الذات، فما لم يكن هناك تنمية للذات لا يمكن أن يكون هناك دافعاً لبرامج التنمية الأخرى، وعلى سبيل المثال فقد ربط الله بين عدم تحقق التنمية الاقتصادية للفرد بسبب عدم تحقيقه للتنمية الذاتية فقال تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى، قال ربي لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى)⁽¹⁾ فيلاحظ بوضوح أن العقوبة الدنيوية التي ذكرتها هذه الآية تشتمل على خلل جسيم يتعرض له الجانب الاقتصادي في الحياة، بحيث لا تطاق المعيشة من شدة الضنك، فهي عقوبة مادية ونفسية، فنسيان الله يؤدي إلى نسيان النفس، ونسيان النفس فسرتة الآية بالآثار التي تترتب عليه من انهيار اقتصادي واضطراب نفسي، ولا يتأتى هذا الانهيار الاقتصادي والاضطراب النفسي إلا بنسيان وإهمال أسباب النمو والاستقرار⁽²⁾، "ومفهوم التنمية الذاتية الإسلامية يقوم على أساس أن الإنسان يعد نفسه بنفسه بالمواصفات التي يريدها، وذلك عن طريق معرفة الأساليب الخاصة بهذه التنمية وتطبيقها، فتنمية الإنسان لذاته من الأمور المهمة في بناء الأمم، ذلك أن بناء

(1) سورة طه الآيات 124-127.

(2) حسن العناني، التنمية الذاتية والمسؤولية في الإسلام، مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، جدة، ص 60.

الذات للأمة متوقف على بناء الذات للأفراد، وإذا أردنا أن نبرز شخصية أمتنا بين الأمم والشعوب علينا تكوين شخصية تمثل شخصية الأمة في كل مكان⁽¹⁾

وإذا كان النهوض في أي أمة يبدأ من تنمية الموارد والطاقات، فإن الطاقات الفردية والبشرية هي خزائن الأفراد واجتماعات وهي المحرك الأول لنهضة الشعوب وبخاصة إذا صدقنا القول بأن أكبر رأس مال للأمة هو عقل الأمة، فإن تحريك العقول وتنميتها انطلاقاً من الأفراد أساس مهم لا ينكر.

1- مفهوم التنمية الذاتية في الإسلام.

تشير معاجم اللغة العربية إلى أن التنمية في اللغة تعني الزيادة في كم الأشياء أو كيفها ونوعيتها، فقد قالت العرب: نما الزرع، ونما المال، أي زاد، وقالوا أيضاً: نما الخضاب في اليد والشعر، ازداد حمرة وسواداً⁽²⁾، كما عُرِّفت التنمية في اللغة بأنها مأخوذة من النماء بمعنى الزيادة يقال نمى نمياً ونمياً ونمأً، زاد وكثر وربما قالوا ينمو نمواً ويقال: أنميت الشيء نميته جعلته نامياً، ونمى الإنسان سمن، والنامية من الإبل السمينه يقال: "نمت الناقة إذا سمنت وفي حديث معاوية: "لبعت الفانية واشترت النامية" أي لبعت الهرمة من الإبل واشترت الفتية منها⁽³⁾، وقد وردت عدة تعريفات اصطلاحية للتنمية الذاتية، فقد عرفها(الهنداوي) بأنها "عملية تطوير وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن، وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقيقاً لمقصود الشارع من الاستخلاف في الأرض⁽⁴⁾.

كما يرى (الحمادي) بأنها "استخدام ما تملكه من إمكانيات عقلية ومادية ومعنوية بكفاءة وفاعلية للتحويل من واقع معين إلى واقع أفضل منشود"⁽⁵⁾، ويعرفها(الدويش) أنها: " ذلك الجهد الذي يبذله الفرد من خلال أعماله الفردية، أو من خلال تفاعله مع برامج عامة وجماعية لتنمية نفسه"⁽⁶⁾.

وترى (النجار) بأنها: "الجهد التربوي الذي يبذله الفرد للارتقاء بشخصيته بجميع جوانبها وأبعادها معتمداً على المجالات والوسائل التي بينها الإسلام المتمثلة في الطاعات والعبادات والمعاملات والسلوكيات والأنشطة"⁽⁷⁾.

1) مقداد يلجن، التربية الذاتية القيادية النموذجية ومضاعفة الإنتاجية، دار عالم الكتب، الرياض، 2004م، ص7.

2) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الأمواج، بيروت، 1990م، ج2/، ص956.

3) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج15/، ص341.

4) حسن بن إبراهيم الهنداوي، التعليم وإشكالية التنمية، وزارة الأوقاف والإرشاد، قطر، 2003م، ص38.

5) علي الحمادي، مهارات تطوير الذات، برنامج تدريبي، من إصدارات مركز التفكير الإبداعي، دبي، ص5.

6) محمد الدويش، التربية الذاتية، نقلاً عن www.almurabbi.com 2008م، ص2.

7) ربا عبد الرحمن النجار، ملامح التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي " دراسة تحليلية"، رسالة ماجستير غير منشورة، 2009م، الجامعة الإسلامية، غزة، ص21.

ومن جملة ما ذكر من التعريفات السابقة يمكن أن نخلص إلى تعريف للتنمية الذاتية هو ذلك الجهد الذي يبذله الفرد لتطوير مهاراته وقدراته قدر الإمكان بشكل مستمر من أجل تحقيق مستويات متقدمة من النجاح والتميز الشخصي وذلك وفق القيم الإسلامية.

2- خصائص التنمية الذاتية

للتنمية الذاتية خصائص ومميزات نذكرها من خلال تعريفنا السابق للتنمية الذاتية، وكذلك من جوانب أخرى نذكرها فيما يأتي:

أ- الاستمرارية: تتأكد خاصية الاستمرارية في التنمية الذاتية من النظرة الإسلامية السامية للإنسان، فالإنسان خلقه الله ليكون خليفة له في الأرض كما قال تعالى: (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)⁽¹⁾، وهو من يخلف غيره ويقوم مقامه في تنفيذ الأحكام⁽²⁾ ومن شأن الاستخلاف الاستمرار والتداول لعمارة الأرض، " وهذه الديمومة والاستمرارية للعملية التنموية تكون مستغرقة لحياة الأفراد والمجتمعات على حدّ السواء، بمعنى أنّ الأفراد يستنفدون أعمالهم من أجل التنمية، ويحرصون على نقل ذلك لمن يخلفهم في المجتمع، بحيث تتواصل العملية التنموية من جيل إلى آخر دون توقف"⁽³⁾

ومن متطلبات الاستمرارية في عملية تنمية الذات مراعاة التدرج قدر الإمكان، فضمن الاستمرارية في كل الأعمال هو التدرج فيها، والتنمية الذاتية من ضمانات استمرارها هو التدرج فيها، لأنها عملية تتعلق أصلاً بالذات، والنفس البشرية من طبيعتها تأبى الإلزام والقيود وخاصة مما هو مكلف وشاق عليها، لذا كان من السنن في التعامل مع الذات البشرية هو سياستها والأخذ بخطامها وفق سنة التدرج، وتقبل الأمور شيئاً فشيئاً حتى يسلس قيادتها والأخذ بعزميتها، ولا شك أن الحكمة في التدرج الحكيم للتشريع هي تهيئة النفوس للقبول، ويؤيد ذلك ما ذكرته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشأن هذا التدرج فتقولت: (إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً)، وعلق ابن حجر على ذلك بقوله: " فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: (لو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندعها)، وذلك لما طبعت عليه النفوس من النفرة عن ترك المألوف"⁽⁴⁾

(1) سورة البقرة، الآية 30.

(2) وهبة الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق: 1418هـ، ج/1، ص124

(3) حسن بن إبراهيم الهنداوي، التعليم وإشكالية التنمية، ص 38، مرجع سابق.

(4) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت، ج/9، ص40.

ب- عملية إرادية منبعها من الذات والعامل الذاتي الداخلي هو العامل المحرك في سيرها وتوجيهها، وقد أشار سبحانه وتعالى إلى أن التغيير منبعه هو ذات الإنسان، وهو الذي يبدأ من الداخل وينطلق إلى الخارج، يبدأ بتغيير وإصلاح ما بداخل النفس من مفاهيم ومعتقدات خاطئة، ثم يترجم ذلك إلى عمل يتماشى مع ما يؤمن به، ولذلك قيل: إن انتصار المرء على نفسه يجب أن يسبق انتصاره في المجتمع الحياة وهذا كله مصداق لقوله تعالى: (حتى يُغَيروا ما بأنفسهم) ⁽¹⁾ ولذا يرى (الجابري) بأن المقصود بالتغيير: " هو الانتقال من حال إلى حال أفضل كما يراها طالب التغيير، إلى الفعالية بعد العجز وإلى التمكين بعد القوة، فموضوع التغيير هو الحال وكيف ينتقل إلى حال آخر، وبينت الآية الكريمة في شقها الأول أن المغير هو الله سبحانه، وبينت في شقها الثاني أن شرط حصول التغيير هو أن يتحرك القوم ليغيروا ما بأنفسهم" ⁽²⁾.

ت- عملية مخططة: من سمات التنمية الذاتية أنها عملية مخططة لها أهداف تسعى لتحقيقها، ووسائل تسعى من خلالها لتنفيذ هذه الأهداف في وقت زمني محدد، ومن علامات التخطيط فيها تحديد جوانب الضعف وجوانب القوة في الذات، وتحديد الأولويات للبدء في مسار التنمية الذاتية وهذه مجموعها هي عملية التخطيط.

ث- التطوير والتغيير: إن أهم خاصية للتنمية هي كونها عملية تهدف إلى تطوير وتغيير حياة الناس في مجتمع ما، ولذلك لا يكاد يخلو تعريف من الإشارة إلى هذا العنصر الأساس في عملية التنمية أو ما يشاكله، مثل التقدم والرفي والتحسين وغيرها، ولكن عملية التطوير والتغيير هذه لا بد أن يراعى فيها مدى قابلية الأفراد واستطاعتهم لذلك، حتى لا يكلف الناس أكثر من وسعهم أو يحملوا ما لا يطيقون فتفشل العملية من حيث يراد لها النجاح، وذلك قوله تعالى: (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعفوا عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) ⁽³⁾.

ج- الشمولية: إن عملية تنمية الذات لا تقف عند التطوير والتغيير المستمر نحو الأحسن فالأحسن بل لا بد أن يضاف إلى ذلك كلفة مميزة أخرى وهي الشمولية، والمقصود بالشمولية في عملية التنمية الذاتية أن تكون فيها مراعاة لقدرات الإنسان وإمكانياته المختلفة، سواء أكانت مادية أم معنوية (روحية، نفسية، عقلية...) فهذه

(1) سورة الرعد، الآية 11.

(2) بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير، دار حافظ، جدة، 1414هـ، ص 26-27.

(3) سورة البقرة: الآية 2.

الشمولية بالمعنى المتقدم، وإلى ذلك أشار قول الرسول ρ لأبي الدرداء: «...إن لجسدك عليك حقاً ولربك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً»⁽¹⁾.

ح- الاستقلالية: لكلّ أمة خصائص تميّزها عن غيرها، ولها تراثها الديني والمعرفي الذي يكوّن مجموعته ثقافتها الخاصة بها وبناء على ذلك، فإنّ عملية تنمية الذات لا بد أن تكون نابعة من خصائص ومميّزات أمتنا الإسلامية، منسجمة مع تراثها الديني والمعرفي، ولا تكون مستعارة أو مستوردة، وبعبارة أخرى، فإنّ عملية التنمية لا بد أن تتم بعيداً عن أيّ نوع من أنواع التبعية بحيث يصح أن نطلق عليها تنمية ذاتية مستقلة وفق القيم الإسلامية، وعليه فإنّ الفرد المسلم إذا أراد أن يقوم بعملية تنمية ذاتية ناجحة وأن يحقق نهضة حضارية فليس من سبيل أمامه إلا التنمية المستقلة التي يعتمد فيها على ذاته، ولا ينتظر تنمية أو تطويراً من الآخرين، ولكن استقلالية التنمية لا تعني بالضرورة عدم الاستفادة من الآخرين ومن تجاربهم، بل يبقى المجال مفتوحاً للاستفادة من تجارب الآخرين كما قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)⁽²⁾ فليس هناك منافاة بين الاستقلالية والاستفادة، ولكن المنافاة واقعة بين الاستقلالية والتبعية لكونهما ضدان لا يجتمعان؛ فإما استقلالية وإما تبعية.

3- جوانب التنمية الذاتية في الإسلام.

إنّ بناء الشخصية ومعرفة مواصفاتها وعلاماتها من الأمور المهمة في بناء الأمم، ذلك أنّ بناء قوة الشخصية للأمة متوقف على بناء شخصيات الأفراد، ولهذا إذا أردنا إبراز شخصية أمتنا بين الأمم والشعوب علينا تكوين شخصية تمثل شخصية الأمة في كل مكان، وهذه الشخصية لا بد أن تكون شخصية تتكامل فيها كل الجوانب، وحينما ننظر في الهدى الإسلامي بمنبعية (القرآن واسنة) نجد كيف ركّزنا على الاهتمام ببناء هذه الشخصية من كل جوانبها، فتعددت جوانب التنمية الذاتية في الإسلام فامتدت لتشمل الجوانب الإيمانية والعلمية والعبادية والأخلاقية والإنتاجية والجسدية، وسأعرض لبعض جوانب التنمية الذاتية التي اهتم بها الإسلام مدعمة ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة للاستشهاد والاستدلال وذلك على النحو الآتي:

أ- التنمية الذاتية للإيمان:

يعد الجانب الإيماني من أكبر الطاقات الكامنة في الذات الإنسانية، "فهي الطاقة العظيمة التي نحتاجها في مرحلة الإقلاع، وليس ثمّة بديل لذلك، ومن ثم فالأخذ بأسباب تنميته يعد من الأولويات"⁽³⁾، لذا نجد أن من

(1) أحمد بن الحسين البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، باب صيام التطوع والخروج منه قبل تمامه، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1994م، ج/4، ص275.

(2) سورة الحجرات، الآية 13.

(3) عبد الكريم بكار، مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية، دار القلم، دمشق، 2005م، ص216.

ركائز التنمية الذاتية في الإسلام ما يتصل بالإيمان، وذلك من خلال حث القرآن الكريم في كثير من آياته على تعاهد الإيمان، ودوام نميته وزيادته وبيان أسباب ذلك ومن هذه الآيات قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون)⁽¹⁾ ومن خلال الآية نجد أن الإسلام رعى واهتم بالتنمية الذاتية للإيمان وحدد برامجها، فنجد الآيات القرآنية تحدثت عن برامج التنمية الذاتية الإيمانية وهي (ذكر الله، وقراءة القرآن، والسماع لتلاوته، والخشوع عند سماع آياته، والتوكل على الله، والإذعان لأوامره)، وعلى قدر تفاعل الفرد المسلم مع هذه البرامج يكون إحداث النمو والزيادة للإيمان بشكل مستمر كما اهتمت السنة النبوية أيضاً بذكر برامج تنمية الذات بالإيمان وذلك بالإكثار من الأعمال الصالحة التي تقرب من الله Y . ولقد حثنا رسولنا الكريم ρ على كثير من الأعمال الصالحة التي تنمي الإيمان ومن ذلك ما رواه أبو هريرة τ أنه قال: قال رسول الله ρ : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»⁽²⁾.

كما أن الحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان ومن مكملاته فعن أبي أمامة قال: قال (ص) «من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان»⁽³⁾ كما أن إفشاء السلام من تمام الإيمان المؤدي إلى دخول الجنة، قال (ص): «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولاً أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»⁽⁴⁾.

ومن خلال الأحاديث السابقة نجد كيف رعى الإسلام واهتم بالتنمية الذاتية للإيمان وحدد برامجها، فنجد أنها ذكرت برامج التنمية الذاتية للإيمان من حسن الأخلاق والحب في الله، والبغض فيه، والعطاء لله، والمنع من أجله، وإفشاء السلام وعند النظر في جميع هذه البرامج سواءً ما ذكرته الآيات أو الأحاديث؛ نجد أنه عند المداومة والاستمرار عليها تحقق زيادة للإيمان في الذات، وهذه الزيادة هي المقصودة فعلاً من عملية التنمية، إذ أن التنمية تأتي بمعنى الزيادة، ومن هنا ندرك مدى حرص الإسلام وتأكيد على ضرورة رعاية الذات للإيمان والمداومة والمحافظة عليه.

ب- التنمية الذاتية للعلم

والإسلام كما يعني بالجانب الإيماني الروحي فهو يعني كذلك بالجانب العلمي لأن العلم هو الموصل الحقيقي إلى معرفة الله، والعلم هو الباب الأوسع إلى الإيمان، وإلى معرفة سنن الله تعالى، وإلى التفكير في خلق

(1) سورة الأنفال، الآية 2

(2) أحمد بن حنبل (د.ت)، مسند أحمد بن حنبل، باب مسند أبي هريرة τ ، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ج/2، ص 527 وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح

(3) أبو داود السجستاني سنن أبي داود باب الدليل على زيادة الإيمان دار الفكر بيروت ج/2 ص 632، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم 380.

(4) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1972م، ج/1، ص 73.

السموات والأرض، وإلى معرفة قدر الله جل جلاله، لذلك نجد أن الله Y امتدح أهل العلم بأنهم أهل خشيته وتقواه فقال تعالى: (ومن الناس والذواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)⁽¹⁾ وعليه، فإن الله جعلهم أهل رفعة في الدنيا بين الناس، وكذلك أهل الرفعة في الآخرة فقال تعالى: (... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير)⁽²⁾ ويظل الإنسان يستزيد من العلم وينمي به ذاته، ويواصل مشواره فيه، مع اعترافه وفي كل مرحلة يزيد فيها علمه بأنه في بداية الطريق وأنه بحاجة للمزيد انطلاقاً من قوله تعالى: (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً)⁽³⁾، وقوله تعالى: (وفوق كل ذي علم عليم)⁽⁴⁾ ويجسد شعار المؤمن في تنميته لذاته بالعلم في قوله تعالى: (وقل ربي زدني علماً)⁽⁵⁾ ولقد حث رسولنا الكريم P أتباعه على أهمية تنمية الذات بالعلم وطرق الحصول عليه، فبين لنا فضل حملة العلم وأهله فقال « P: وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب »⁽⁶⁾، وقال « P: العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه فمنا أخذ بحظ وافر »⁽⁷⁾، بل اعتبر النبي P الحرص على طلب العلم والتتبع لآثاره والاستزادة منه طريقاً من طرق الجنة.

فقال « P: من سلك طريقاً فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء »⁽⁸⁾ وقد جعل رسولنا الكريم P تنمية الذات بالعلم والمعرفة طريقاً دائماً مستمراً لا يحدها عمر، ولا وقت ولا جهد، فقال « P: لن يشبع المرء من خير يسمعه، حتى يكون منتهاها الجنة »⁽⁹⁾، إذا فالتنمية الذاتية العلمية طريق دائم مستمر يتطور كل يوم نظراً لتطور أبواب المعرفة ويجب ألا تقف عند حد ذواتنا وثقافتنا وما عندنا من علوم فقط بل يجب أن تتعدى إلى ثقافة الآخر فعن أبي هريرة T قال: قال رسول الله « P: الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها فهو

(1) سورة فاطر، الآية 28.

(2) سورة المجادلة، الآية 11

(3) سورة الإسراء، الآية 85.

(4) سورة يوسف، الآية 76.

(5) سورة طه، الآية 114.

(6) أبو عبد الله القرظي، سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، دار الفكر، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ج/1، ص 81، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ج/1، ص 295.

(7) أبو عبد الله القرظي، سنن ابن ماجه، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، مرجع سابق، ج/1، ص 81.

(8) أبو عبد الله القرظي، سنن ابن ماجه، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ج/1، ص 81، مرجع سابق.

(9) أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي باب فضل الفقه على العبادة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون، ج/5، ص 50، وقال الألباني في تعليقاته على الكتاب ضعيف.

ج - التنمية الذاتية للعبادة.

يتناول الإسلام جانب التنمية الذاتية للعبادة بنظرة متميزة فريدة، فهو يدعو إلى العناية بها نوعاً والإكثار منها كماً، وبذلك تبقى العبادة في تجدد وتألّق مستمر، ومن هنا جاءت الآيات التي تحث المسابقة بجوانب العبادة، في قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين يُنفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون)⁽²⁾ وقوله تعالى: (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون، والذين هم بآيات ربهم يؤمنون، والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يُسارعون في الخيرات وهم لها سابقون)⁽³⁾

وقد أمر الله نبيه الكريم (ص) بلزوم تنمية ذاته بالعبادة فقال تعالى: (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين)⁽⁴⁾ كما أمر الله نبيه عيسى حين قال سبحانه على لسان نبي الله عيسى : (واجعلني مباركا أينما كنت وأواني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً)⁽⁵⁾

وجعل شعار المؤمن في تنميته لذاته في العبادة قوله تعالى: (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)⁽⁶⁾ ولهذا كانت حياة المسلم كلها كما أرادها الله عبادة خالصة له سبحانه فيجمع جوانبها الخاصة والعامة والاعتقادية والعملية قال تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين)⁽⁷⁾ والعبادة في الإسلام لفظ عام واسع يشمل جميع العبادات الظاهرة والباطنة، القولية والفعلية، كما عرفها الإمام ابن تيمية بقوله: "العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة... وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له، والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)⁽⁸⁾، أما الأحاديث،

(1) أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، باب الحكمة، ج/2، ص1395. مرجع سابق.

(2) سورة آل عمران، الآيات 133-135.

(3) سورة المؤمنون، الآيات 57-61.

(4) سورة الزمر، الآية 66.

(5) سورة مريم، الآية 31.

(6) سورة الحجر، الآية: 99.

(7) سورة الأنعام، الآية 16.

(8) سورة النازيات، الآية 56.

(9) ابن تيمية، العبودية، دار الكتب العلمية، بيروت، 1980م، ص 38-39.

ما رواه أبو هريرة r أن رسول الله (ص) قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط»⁽¹⁾ ويقول (ص) مستحثاً الهمم في التنمية العبادية: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»⁽²⁾ وعن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»⁽³⁾ ويبين لنا أنه على درجة الاجتهاد في تنمية الذات بالعبادة يكون القرب من الله فعن أنس عن النبي (ص) يرويه عن ربه قال: «إذا تقرب العبد إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإذا تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً، وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة»⁽⁴⁾

د-التنمية الذاتية للأخلاق:

حث الإسلام على أهمية تنمية الذات بالأخلاق الحسنة الفاضلة وتجنب الأخلاق السيئة الرذيلة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة وتنمية الذات بها فيقول تعالى: (قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم، إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً)⁽⁵⁾ ويقول أيضاً: (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) (6) ويقول أيضاً: (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)⁽⁷⁾ كما نجد سبحانه وتعالى يحث كذلك على تنمية الذات بتجنب الأخلاق السيئة الرذيلة فيقول: (ولا تصغر خدك للناس ولا تمشي في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور)⁽⁸⁾ وقال أيضاً: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)⁽⁹⁾.

إن التنمية الذاتية للأخلاق التي ينشدها الإسلام إنما تنبع من جوهره وروحه، وعلى المسلم كذلك أن يتمثلها في ضوء هذه الروح، لا أن ينخدع ببهرج الأخلاق الزائفة في مكنونها وجوهرها، البراقة في ظاهرها فيقول تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوههم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي

1) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، ج/1، ص219. مرجع سابق.

2) أبو عيسى الترمذي، سنن الترمذي، باب معاشره الناس، مرجع سابق، ج/4، ص355، وقد حسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ج/4، ص487.

3) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، وقد علق عليه شعيب الأرنؤوط بأنه ضعيف، ج/1، ص248. مرجع سابق.

4) البخاري، صحيح البخاري باب ذكر النبي p ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، 1978م، ج/2، ص2741.

5) سورة الإسراء، الآية 53.

6) سورة فصلت، الآية 34.

7) سورة الفرقان، الآية 63.

8) سورة لقمان، الآية 18.

9) سورة لقمان، الآية، 19.

الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون⁽¹⁾.

إن من الأهداف الرئيسية التي جاء من أجلها نبينا محمد (ص) تركية النفوس كما أخرج الله بقوله: (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون)⁽²⁾ ومن معاني التركيبة في اللغة التطهير والتنمية، وهذه المهمة جاء رسول الله (ص) للتطهير الداخلي، وللتنمية الخارجية، ومن تنمية الخارج تنمية الأخلاق، إذ هي انعكاس للتطهير الداخلي، ويتجلى هذا المعنى أيضاً في قوله تعالى: (ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها)⁽³⁾ وفي هذا الصدد يقول الفخر الرازي عند هذه الآية: (فاعلم أن التركيبة عبارة عن التطهير أو عن الإنماء)⁽⁴⁾ ولقد بشر النبي بالخير لمن يداوم على تنمية ذاته بالأخلاق الحسنة فقال: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً»⁽⁵⁾ وقال: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً»⁽⁶⁾ وما ثقل الميزان يوم القيامة إلا بتنمية الذات بحسن الأخلاق فقد قال: «أثقل شيء في الميزان؛ الخلق الحسن»⁽⁷⁾.

إن تنمية الذات بالأخلاق تحتاج إلى تدريب وتعود وصبر للحصول عليها فقد قال: «إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه»⁽⁸⁾ كما حثنا على تنمية ذواتنا بالأخلاق الفاضلة فقال: «وخالق الناس بخلق حسن»⁽⁹⁾ وحذرنا من أن يعتري تنمية الأخلاق خلل وذلك بالوقوع في الأخلاق السيئة فبين لنا رسول الله (ص) عند ذلك عندما قال: «وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون»⁽¹⁰⁾ قالوا: يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون»⁽¹¹⁾ ووعد

(1) سورة البقرة، الآية 177.

(2) سورة البقرة، الآية 151.

(3) سورة الشمس، الآيات 7-10.

(4) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، 1981، ج/17، ص 48.

(5) أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح باب حق المرأة على زوجها، ج/3، ص 466، وعلق الألباني بقوله: حسن صحيح، مرجع سابق.

(6) أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، باب معالي الأخلاق، ج/4، ص 370، وعلق الألباني بقوله: صحيح، مرجع سابق.

(7) ابن حبان، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، باب حسن الخلق، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ج/2، ص 230.

(8) البيهقي، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسبوي زغلول، فصل في ذم بناء ما لا يحتاج إليه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ، ج/7، ص 398.

(9) تقدم تحريجه في ص 11.

(10) المتفيهقون أصله من الفهق، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويعرب به تكبراً وارتفاعاً وإظهاراً للفضيلة على غيره، انظر: رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين للإمام النووي، باب حسن الخلق، ص 772.

(11) أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، باب معالي الأخلاق، ج/4، ص 370 وعلق الألباني بقوله: صحيح. مرجع سابق.

رسول الله المحافظ على تنمية ذاته بالأخلاق الفاضلة، والمبتعد عن الوقوع في الأخلاق السيئة، بالمقام الرفيع، فعن أبي أمامة قال: قال رسول وسلم: «أنا زعيم بيت في رضى الجنة لمن ترك المرء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»⁽¹⁾ وبين لنا مدى بغض الله سبحانه وتعالى لملازم الأخلاق السيئة فقال: «إن الله يبغض الفاحش البذيء»⁽²⁾، والأخلاق السيئة تلحق بضررها الحسنات فتأكلها فتصيب الذات بالإفلاس، فعن أبي هريرة τ أن رسول الله قال: «أتدرون ما المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال: إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيته حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار»⁽³⁾ فالإسلام ينظر إلى التنمية الذاتية للأخلاق بأنها سلوك ملتزم ينبغي أن يتحراه المسلم فلا بد أن تنعكس الاعتقادات القلبية والمظاهر العبادية بثوب الأخلاق الذي يعكس رسالة الإسلام السمحة والهدي العام الذي جاء به محمد ρ بقوله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»⁽⁴⁾ لأن الأخلاق هي الدافع الحقيقي للإنسان في أداء واجباته كما ينبغي، وهي التي تعكس قيم الأفراد والمجتمعات ومدى رقيها ونهضتها والتنمية الذاتية للأخلاق.

هـ- التنمية الذاتية للإنتاج.

إن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الإنسان في هذه الحياة عبثاً، بل خلقه لرسالة يؤديها هي أن يعمر الأرض عابداً شاكراً لله ليقابله في نهاية المطاف بقلب سليم ونفس مطمئنة، وقد لخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الإسلام إلى الإنتاج والتنمية بقوله: (والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة)⁽⁵⁾.

ففضايا التنمية الإنتاجية ليست عملية "إنتاج فقط" وإنما هي عملية إنسانية تبتغي تنمية الإنسان وتقدمه المادي والروحي معاً، لذلك فقد حث القرآن الكريم على ضرورة التنمية الذاتية للإنتاج فقال تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون)⁽⁶⁾ وفقه التنمية الذاتية الإنتاجية في الإسلام يدعو إلى تحقيق التوازن بين عمارة الدنيا وعمارة الآخرة، على قاعدة قوله تعالى: (وابتغ فيما

(1) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، باب المزاح لا ترد به الشهادة، ج/10، ص248 وقال الألباني أنه حسن، حديث رقم 1463.

(2) البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، ج/10، ص193 وقال الألباني: صحيح، انظر حديث رقم 135 في صحيح الجامع

(3) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، باب تحريم الظلم، مرجع سابق، ج/4، ص1997.

(4) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد مسند أبي هريرة τ ، وقد علق عليه شعيب الأرنؤوط بأنه صحيح، ج/2، ص381.

(5) وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، دمشق، 1405هـ، ج/7، ص17.

(6) سورة الجمعة، الآية 10.

آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين⁽¹⁾ ويوجب على كل فرد أن يعمل وأن يأكل من كسب يديه، فالعمل شرف ومجد وفريضة على كل قادر عليه، ولقد حث الإسلام عليه، وحارب الكسل والخمول والبطالة والتسول لأن الفقر مذلة ومرض اجتماعي خطير، وتنفيذ الإسلام منه لأنه يضر بالمصلحة العامة، فالأمة قوية بقوة أفرادها، ضعيفة بضعف أبنائها، فيقول: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»⁽²⁾ واعتبر الإسلام العمل هو الوسيلة المفضلة للكسب، وقال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»⁽³⁾

والتنمية الذاتية للإنتاج في الإسلام تعتمد على الاتكال على الله وما تقدمه الذات من جهد، فهو لا يرضى للناس أن يكونوا عاطلين عن العمل، عالة على الآخرين، فعن أنس بن مالك أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي يسأله فقال: «لك في بيتك شيء؟» قال: بلى جلس نلبس بعضه ونبسط بعضه وقدم نشرب فيه الماء، قال: اثني بهما قال: فأتاه بهما، فأخذها رسول الله ﷺ بيده، ثم قال: من يشتري هذين؟ فقال رجل: أنا أخذتهما بدرهم قال: من يزيد على درهم؟ مرتين أو ثلاثاً قال رجل: أنا أخذتهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: اشتر بأحدهما طعاماً فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوماً فأتني به، ففعل فأخذه رسول الله ﷺ فشد فيه عوداً بيده وقال: اذهب فاحتطب ولا أراك خمسة أيام، فجعل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فقال: اشتر ببعضها طعاماً وبيع بعضها ثوباً ثم قال: هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة، إن المسألة لا تصلح إلا لذي فقر مدقع أو لذي غرم مفظع أو دم مومع»⁽⁴⁾ وقال: «اليد العليا خير من اليد السفلى»⁽⁵⁾ وعن عمر بن الخطاب رجلاً بقي في المسجد وقد انطلق الناس إلى أعمالهم المختلفة قائلاً: "قم لا تمت علينا ديننا أمتك الله"⁽⁶⁾ بل إن التنمية الذاتية للإنتاج في الإسلام لا تقف عند حد معين بل على الفرد أن يعمل حتى يأتيه أجله، فعن أنس بن مالك عن النبي قال: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»⁽⁷⁾. ثم إن التشريعات الإسلامية التي تناولت الشؤون التجارية المختلفة ووضعت أصولها وقواعدها وضوابطها، كلها تؤكد على مدى اهتمام الإسلام بالتنمية الإنتاجية، من بيع وشراء ومراجعة ومشاركة وغيرها.

(1) سورة القصص، الآية 77.

(2) البخاري، صحيح البخاري، باب سورة الليل، ج/4، ص1881، مرجع سابق.

(3) البخاري، صحيح البخاري، باب كسب الرجل وعمله بيده، ج/2، ص730، مرجع سابق.

(4) أبو عبد الله القرظي، سنن ابن ماجه، باب بيع المزايدة، ج/2، ص740، مرجع سابق.

(5) البخاري، صحيح البخاري، باب الاستغفار عن المسألة، ج/2، ص535.

(6) علي بن نايف الشحود، موسوعة المفاهيم الإسلامية، المكتبة الشاملة، 2008م، ج/3، ص136.

(7) البخاري الأدب المفرد، باب اصطناع المال، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1989م، ج/1، ص168.

و- التنمية الذاتية للجسد

لقد اهتم الإسلام بالتنمية للجسد كما اهتم بتنمية الروح والعقل، لأنها ثلاث طاقات حيوية، مترابطة ومتمازجة مع بعضها البعض لا يمكن فصل إحداها عن الأخرى في التنمية الحقة لتكون في النهاية إنساناً متكاملًا يؤدي مهمته بأمان وارتياح، وقاعدة التنمية الذاتية للجسد في الإسلام تبنى على قول الرسول «: وإن لجسدك عليك حقاً»⁽¹⁾ وهذا الحق يشمل الإطعام والراحة والتنظيف، فهو يدعو إلى العناية الشاملة بالجسم كله ليأخذ الإنسان نصيبه من المتاع الحسي الحلال الطيب الذي أمر الله به في توجيهاته الكثيرة إذ قال تعالى: (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك)⁽²⁾ وقال تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة كذلك نُفَصِّلُ الآيات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)⁽³⁾ وهي قائمة كذلك على أساس قول النبي: « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»⁽⁴⁾ وقد تجلت مظاهر اهتمام الإسلام بالتنمية الذاتية للجسد من خلال الآتي:

- عناية الإسلام بالقدرات الجسمية للإنسان كي لا يكون عاجزاً عن أداء العبادات، فضلاً عن إعداد الجسم كله إعداداً سليماً، فهو يبيح للإنسان شهوة الطعام والشراب وفق قواعد إسلامية منضبطة لتربية الجسم والروح معاً قال تعالى: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً)⁽⁵⁾ وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكَلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ)⁽⁶⁾ وهذه القواعد المنضبطة هي عدم الإسراف قال تعالى: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تُسرفوا إنه لا يُحِبُّ المُسرفين)⁽⁷⁾ وألا يستأثر القوي بكل شيء بل يذكر الضعفاء قال تعالى: (فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير)⁽⁸⁾

(1) ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ج/2، ص19، وقال الارناؤوط حسن لغيره، مرجع سابق.

(2) سورة القصص، الآية 77.

(3) سورة الأعراف، الآية 32.

(4) مسلم، صحيح مسلم، باب في الأمر بالقوة وترك العجز، مرجع سابق، ج/4، ص2052.

(5) سورة البقرة، الآية 168.

(6) سورة المائدة، الآيات 87-88.

(7) سورة الأعراف، الآية 31.

(8) سورة الحج، الآية 28.

كما حث الإسلام على الالتزام بآداب الأكل والشراب التي حثنا عليها رسولنا الكريم بقوله: «يا غلام سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك»⁽¹⁾ وأن لا تكون هذه الشهوة هدفاً في حد ذاتها وبالشكل الذي تشغله عن أمور أخرى فقد حذرنا الرسول من ذلك بقوله: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان ولا بد محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»⁽²⁾

- **العناية والاهتمام بالتربية الرياضية،** وذلك استعداداً لاحتمال المشاق وبذل الجهد، كما يقصد بها قوة الأخذ بنصيب الإنسان من الحياة والاستمتاع، فالجسد الهزيل المريض لا يأخذ نصيبه الحق من المتاع، فوق أنه لا يوصل شحنة الحياة إلى النفس توصيلاً صحيحاً تقوم عن طريقه بمهمتها المفروضة عليها، وفوق أن جهاد الحياة، والحياة كلها جهاد، في حاجة إلى جسم وثيق متين البنیان، وقد كان من هدي الرسول العملي عنايته بهذا النوع من التنمية الذاتية الجسدية، فقد ثبت عنه سباقه لعائشة رضي الله عنها، وسباقه بناقته القصواء، والسعي والهرولة في شعائر الحج، كلها تدريب لعضلات الجسم ووشائجه لتربية القوة فيه والسلامة والتمكين.

كما أن العبادات تشرك الجسم في العبادة، ولا تسقط من الحساب⁽³⁾ ومن هديه في حثه على الفروسية والرمي ما جاء عن سلمة بن الأكوع π قال: مر النبي على نفر من المسلمين ينتضلون فقال النبي: «أرموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً»⁽⁴⁾ وعن ابن عمر قال: قال رسول الله: «علموا أبناءكم السباحة و الرمي وركوب الخيل والمرأة المغزل»⁽⁵⁾ المغزل: يعني الغزل للمرأة لأنه لائق بها.

- **العناية بالنظافة بصفة عامة،** انطلاقاً من اهتمام القرآن الكريم بغسل الجسد كاملاً في حالات معينة، كما في قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتييموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفواً غفوراً)⁽⁶⁾ وقد عقد الله محبته للمتطهرين فقال تعالى: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين)⁽⁷⁾ وحثنا النبي على النظافة الشاملة التامة للجسم، وعدّها من خصال الفطرة فعن أبي هريرة π عن النبي قال: «خمس من

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، ج/9، ص650، مرجع سابق.

(2) أبو عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، باب كراهية كثرة الأكل، ج/4، ص590، وعلق الألباني بقوله: صحيح، مرجع سابق.

(3) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، بيروت، 1980م، ص128.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد، ج/3، ص1062، مرجع سابق.

(5) البيهقي، شعب الإيمان، باب في حقوق الأولاد والأهلين، ج/6، ص401، مرجع سابق.

(6) سورة النساء، الآية 43.

(7) سورة البقرة، الآية 222.

الفترة: الختان والاستحداد وتقليم الأظفار وتنف الإبط وقص الشارب»⁽¹⁾ ومن الأمور التي خصها بالنظافة نظافة الفم فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله قال: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»⁽²⁾.

- ضبط النواحي الجنسية للذات المسلمة، فرباها بالتهذيب والارتقاء والإعلاء من شأنها، لا بالكبت والانحطاط إلى مستوى الحيوان، فحجب الزواج وجعله فريضة عليها أجر وقد فرضه لحفظ النسل، وحفظ الصحة، وإشباع الفطرة، فقال تعالى: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)⁽³⁾ وقال تعالى: (نسائكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)⁽⁴⁾ بل يزيد الرسول الله فيجعل عليها أجراً قال: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجراً؟ قال: أرايتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجراً»⁽⁵⁾ وبالمقابل فقد دعا إلى الزواج وحث عليه، وأرشد غير القادرين عليه إلى الصوم وقاية لهم من الانحرافات الجنسية ولاسيما الشباب فقال: «يا معشر الشباب عليكم بالباءة فإنه أحسن للفرج وأغض للبصر فمن لم يقدر على ذلك فعليه بالصوم فإنه له وجاء»⁽⁶⁾.

4- أثر التنمية الذاتية في ضوء التربية الإسلامية

تهدف التنمية الذاتية إلى تحقيق عدد من الأهداف سواء على صعيد الأفراد أو على صعيد المجتمعات وعلى وجه العموم فإن التنمية الذاتية جهد شخصي يبذله الفرد فيجد من خلاله تحقق الآثار الآتية:

- تطوير مهارات وقدرات الإنسان.

تتشد التنمية الذاتية في التربية الإسلامية تطوير مهارات وقدرات الإنسان للوصول إلى مستويات النجاح والتميز الشخصي والرفقي الحياتي، "فالتنمية الذاتية في التربية الإسلامية لا تقف بمهمتها عند حد العلم النظري وإنما تتعداه إلى العلم التطبيقي لذلك فهي تدعو إلى التوازن بين الناحيتين النظرية والعملية في تكوين الفرد"⁽⁷⁾ والتطوير ضرورة يحتاجها الناس في جميع مجالات حياتهم، ويمثل رغبة كامنة في نفوس الناس لسبب أو لآخر، وهو

(1) مسلم، صحيح مسلم باب خصال الفطرة، ج/1، ص 221، مرجع سابق.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان باب فرض الوضوء، ج/3، ص 348، وصححه الألباني حديث رقم 3695، مرجع سابق.

(3) سورة الروم، الآية 21.

(4) سورة البقرة، الآية 223.

(5) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج/2، ص 698، مرجع سابق.

(6) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، 1983م، ص 83.

(7) محمد شحات الخطيب وآخرون، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي، الرياض، 1415م، ص 92.

عملية سهلة من الناحية النظرية، حيث يمكن أن يجلس الإنسان ويتأمل في واقعه ويشخص المشكلة التي تواجهه ثم يحدد التطوير الذي يحتاجه"⁽¹⁾.

– الوقاية من التخلف العقلي.

تعد أزمة الفرد اليوم جزء من أزمة الأمة التي تعاني من تخلف على كافة الأصعدة، لذا فإن جزءاً من الإسهام في حل هذه الأزمة يكمن في روح الفرد بصقل عقله ومواهبه، والملائمة بين ما يتعلمه وما يجب أن يعمل به، لذلك فالتنمية الذاتية المستمرة من قبل الفرد تعمل على وقاية العقل من التخلف، ومواكبة كل جديد سواءً في مجال تخصصه، أو بالعلوم التي يرغب فيها، أو حتى في المهارات التي يكتسبها وتنعكس على أدائه، وهذا كله من شأنه أن يسهم في المخرج من أزمة الأمة الكبرى، " فالتنمية الذاتية تنشد تنمية القدرات العقلية للفرد ووقايتها من أسباب التخلف العقلي وتكوين عقلية مؤمنة ينظر بها الفرد إلى ذات العلوم فيرى بها أدلة عظمة الله وحكمته في مخلوقاته هذا إلى جانب تنمية روح الإبداع والإتقان"⁽²⁾.

– مشاركة الإنسان الفاعلة في عملية التنمية.

خلق الله الإنسان ليكون خليفة له في الأرض كما قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)⁽³⁾ وهذا الاستخلاف لا مجال فيه للعبث وإضاعة الوقت فيما لا ينفع: (أَيُحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى)⁽⁴⁾ كما أن نظرة الإسلام للحياة هي نظرة سامية، وأنها ليست للعب ولا للعبث كما قال تعالى: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين)⁽⁵⁾، فالإنسان لم يخلق سدى، ولا الكون خلق عبثاً أو لعباً، فلا بد أن يستثمر الإنسان حياته لتنمية ما في الكون، وهي المتمثلة في عملية التعمير: (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ)⁽⁶⁾ حتى يؤدي مهمّة الاستخلاف التي نيّطت به من قبل خالقه ، ويقوم بعملية التنمية والتعمير خير قيام⁽⁷⁾.

1) علي الحمادي، مهارات تطوير الذات، ص9، مرجع سابق.

2) عبد الرحمن عبد الله المالكي، مهارات التربية الإسلامية، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، كتاب الأمة، الدوحة، 2005م، العدد 106، ص60.

3) سورة البقرة، الآية30.

4) سورة القيامة، الآية 32.

5) سورة الأنبياء، الآية 12.

6) سورة هود، الآية 21.

7) حسن بن إبراهيم الهنداوي، التعليم وإشكالية التنمية، ص70، مرجع سابق.

- إيجاد التوازن في الشخصية.

من شأن التنمية الذاتية أولاً أن تقف على جوانب الشخصية المراد تنميتها، لمعرفة نقاط الضعف، ونقاط القوة، الموجودة في هذه الجوانب، ومن ثم تعمل على إحداث التوازن في جوانب الشخصية، لكي يحدث التكامل ويستطيع الفرد التعاطي مع كل مفردات الحياة الشخصية وواجباتها لأن واجبات الفرد وحقوقه تتعدد، وهو مطالب بتأدية هذه الحقوق بشكل متوازن بحيث لا يطغى جانب على آخر، فيحصل العجز والشلل، ومن هنا نرى تأكيد الرسول على تحقيق هذا النوع من التوازن، فعن أبي موسى قال: دخلت امرأة عثمان بن مظعون على نساء النبي فرأيتها سيئة الهيئة فقلن: ما لك ما في قريش رجل أغنى من بعلك؟ قالت: ما لنا منه شيء؟ أما نهاره فصائم وأما ليله فقائم قال: فدخل النبي فذكرن ذلك له فلقبه النبي فقال: «يا عثمان أما لك في أسوة؟ قال: وما ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي؟ قال: «أما أنت فتقوم الليل وتصوم النهار وإن لأهلك عليك حقاً وإن لجسدك عليك حقاً صل ونم وضم وأفطر» قال: فأتتهم المرأة بعد ذلك عطرة كأنها عروس فقلن لها: مه قالت: أصابنا ما أصاب الناس⁽¹⁾.

- تحقيق مبدأ المسؤولية الشخصية

"ونعني بالمسؤولية الشخصية أي فردية التبعة أو تحمل الجزء الحاصل نتيجة العمل الذي قام به الفرد أو كلف به، ويترتب الجزء من الله تعالى على ما يأتي به المكلف من أعمال أو أقوال أو نيات باختياره سواء أُلزم بها شرعاً أو التزم بها بمقتضى الشرع"⁽²⁾، قال تعالى: (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً)⁽³⁾ فالآية الأولى تبين المسؤولية الشخصية لما يفعله المرء في حق نفسه، والآية الثانية تقر الجزء الفردي الذي يناله من قام بالعمل ولا يسأل عنه غيره، وتتضمن المسؤولية أيضاً ما يفعله الإنسان من الخير والهدى أو الشر والضلال، قال تعالى: (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)⁽⁴⁾ يقول سيد قطب: "فهي التبعة الفردية التي تربط كل إنسان بنفسه إن اهتدى فلها وإن ضل فعليها، وما من

1) ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، ج/2، ص19، وقال الأرئوط حسن لغيره، مرجع سابق.

2) هاشم علي الأهدل، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، دار المعالي، عمان، 1421هـ، ص42.

3) سورة النساء، الآيات 110-111.

4) سورة الإسراء، الآية 15.

نفس تحمل وزر أخرى، وما من أحد يخفف حمل أخيه، إنما يسأل كل عن عمله ويجزي كل بعمله ولا يسأل حميم حميماً⁽¹⁾.

– إرضاء الله.

التنمية الذاتية سلوك مرغوب ينبغي أن يتعدى هدفه تحقيق الذات لغرض الذات وحدها، بل لا بد أن تحقق هدفاً أبعد من ذلك، وهو السعي بكل أعمال وبرامج التنمية الذاتية نحو هدف أسمى وأعلى يعتبر من أسمى غايات المؤمن في حياته، ألا وهو رضا الله، ولهذا نجد الرسول يجسد هذا المعنى في كثير من أقواله وأفعاله، فسعى لتحقيق التنمية الذاتية بين الناس وبذل الخير لهم عندما تحرك بين القبائل، وعند عودته من الطائف وما لاقى من ألوان الإيذاء والسخرية والاستهزاء، نجده يركز على الهدف الأسمى وهو حصول رضا الله وعدم سخطه، ويجدرنا من الحرص على إرضاء الناس ولا سيما إن كان على حساب إرضاء الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: « من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»⁽²⁾

– تحقيق النجاح والتميز الشخصي:

للمرء في حياته غايات وأهداف متعددة، وتعدد هذه الأهداف والغايات وتختلف بين الأفراد على حسب سمو نفوسهم وعلو هممهم، ومن خلال تعبير كل فرد عن أهدافه وغاياته تستطيع أن تقر ثقافته ومكونه الذاتي، ولن تجد أحداً يتمنى أو يصر على أنه لا بد وأن يكون فاشلاً، بل بالعكس حينما تستقصي آمانيات ورغبات الكثير تجد أنها كلها تبغى النجاح والتمييز، ولكن ما أسهل الدعوى، وما أعز التحقيق، فالفرق بين من يدعي ابتغاؤه حصول النجاح، ومن يسعى إليه فعلاً هو تحقيق التنمية الذاتية، لأن التنمية الذاتية المستمرة تشعرك بتقدم الفرد ورفقيه، وتغير حاله وعظائه، بما يجعله يخطو نحو النجاح والتميز، أما الفرد الآخر الذي يبتغي حصول النجاح ولم يحصل عليه سببه الرئيسي هو أنه لم يتفاعل مع ذاته في بلوغ أهدافه وأمنيته، وحتى النجاح والتميز يختلف ويتفاوت، ولن تجد النجاح والتميز الحقيقي الذي يرضي الفرد من الداخل إلا الذي بناه الفرد بذاته، لأن النجاح له معايير ومن أبرز معاييرها هو أن الناجح الحقيقي هو الذي بنى نجاحه على إنجازاته وإبداعاته لا على جهود الآخرين أو فشلهم.

– تحقق التغيير والتطوير للذات:

إن مهمة التنمية الذاتية الحقيقية هي التغيير نحو الأفضل، سواءً على صعيد الفرد أم المجتمعات، وتغيير النفس يبدأ بتغيير النيات والغايات والإرادة لأنها بواعث السلوكيات بل منبع السلوكيات، وتغيير النية يبدأ من

(1) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1400هـ، ج/4، ص 2217.

(2) ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب الصدق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، ج/1، ص 510، مرجع سابق.

الإنسان نفسه، وهنا يتجسد معنى قول الله Y: (إن الله لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم)⁽¹⁾ فإذا أردنا تغيير الواقع الذي نعيشه يجب تغيير ما في داخل أنفسنا أولاً من معتقدات ومفاهيم خاطئة، وذلك بيّن في حديث الرسول « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»⁽²⁾، فالقلب هو مركز المعتقدات، ومحور الصلاح أو الفساد، الذي يظهر في صورة تصرفات الجسد.. وهذه سنة الله في أن تغيير الواقع الأرضي لا يحصل إلا بتغيير ما بالنفس، قال تعالى: (ذلك بأن الله لم يكُ مغيِّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم)⁽³⁾ وبناء على هذا إذا نظرنا إلى حال المسلمين اليوم في واقع حياتهم ينبغي أن نعلم أن ما في واقعهم الأرضي متناسب تماماً مع ما بأنفسهم من مفاهيم وأفكار ونظريات، وأن عدم تغيير الله ما بهم متوقف على عدم تغيير المسلمين لما بأنفسهم⁽⁴⁾.

5- دور الفرد والمجتمع في تحقيق التنمية الذاتية للفرد المسلم.

إن الطاقات الفردية والبشرية خزائن الأفراد والمجتمعات وأكبر ثروة للأمة هي الثروة البشرية لأنها الأساس في استخراج كنوز الأرض وثروتها ثم تنميتها وتصنيعها والتجارة بها، وكل ذلك متوقف على معرفة هذه الثروة البشرية، ومعرفة تنميتها على المستوى المطلوب، إذ إن أكثر الأفراد يمتلكون طاقات ومواهب وقوى ذاتية مختلفة ومتنوعة، ولكن أكثرهم يجهلونها في ذواتهم وغيرهم، والإنسان له طاقات وحاجات منقوشة بداخله وسواء تجاهلها أم اعترف بها، إلا أن هذه الطاقات تحتاج إلى إشباع وتحديد، ولا بد من تضافر جهود الفرد والمجتمع من أجل تنمية هذه الطاقات، ويمكن الإسهام لتنمية ذات الفرد من خلال الآتي:

1- دور الفرد لتحقيق التنمية الذاتية في ذاته:

يمكن أن يسهم الفرد في تنمية ذاته من خلال الوسائل الآتية:

أ- الاستغراق الكامل للذات في أداء الفرائض الشرعية باختلافها: فالتقرب إلى الله بأداء الفرائض هو من أعلى درجات التنمية الروحية، وهي أول ما يحاسب عليها الله العبد يوم القيامة، فقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم)⁽⁵⁾ وأهم ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل ويزيد من إيمانه ويرفع درجته هو أداء الفرائض التي افترضها سبحانه وتعالى، فعن أبي هريرة r قال: قال رسول الله إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي

(1) سورة الرعد، الآية 11.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم 52.

(3) سورة الأنفال، الآية 53.

(4) جودت سعيد، مذهب ابن آدم الأول، دار الفكر المعاصر، دمشق، 1993م، ص 36.

(5) سورة الأنفال، الآية 24.

يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»⁽¹⁾ ففي الحديث دلالة على أن أحب الأعمال إلى الله هو أداء الفرائض وهي على نوعين: ظاهرة: وهي التي تُؤدَّى بالجوارح عملاً كالصلاة والزكاة وغيرها من الأفعال، وتركاً مثل: الربا والزنا والقتل وغيرها من المحرمات، وباطنة: وهي أعمال القلوب هي: كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه، كذلك الولاء للمسلمين والبراء من المشركين، وغيرها.

ب- الاستزادة من النوافل: فالنوافل هي الجالبة لمحبة الله ورضوانه والزيادة فيها يعمل على تنمية الروح وريقها واستعدادها لبذل أي خير من شأنه يعلو ويسمو بها في مدارج الكمال، ونيل محبة الله مرهونة بأدائها، ومن هذه النوافل قيام الليل وصيام التطوع والصدقة وقراءة القرآن والأذكار المتنوعة، ولا شك في أن المداومة على هذه العبادات تقوية للصلة التي تربط بين العبد وربّه وتوثيقاً لعرى الإيمان في قلبه فتزكو النفس وتصفو الروح، وهذا الأمل هو الذي يدفعه ليكون له من كل منها حظ ونصيب مما يجعله ينوع في عباداته وأعماله الصالحة كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا الله ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون)⁽²⁾ "ولعل في هذا التنوع مراعاة لطبيعة النفس الإنسانية التي إذا داومت على أمر معين تمله حتى لو كان هذا الأمر طعاماً أو شراباً أو عملاً أو مسكناً"⁽³⁾.

ج- اجتناب المعاصي: ولكي تؤدي الفرائض والنوافل دورها في رقي الروح وتنميته فبالمقابل لا بد من السعي لاجتناب المعاصي وتركها، لأنها تحدث نقصاناً روحياً للتنمية الروحية، ومتى ما تجمعت المعاصي وكثرت على النفس فإنها تحجب عنها الخير وتجعلها لا تتشربه كما قال تعالى: (كلاً بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)⁽⁴⁾، والاستهانة والتحقيق بالذنوب والمعاصي يورث إذلالاً وإدماناً عليها مع مرور الزمن والأيام، بل ويورث هلاكاً لجانب الخير الذي قد بناه الإنسان وسعى في تشييده، فعن عبد الله بن مسعود τ أن رسول الله ρ قال: « إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه »⁽⁵⁾.

د- محاسبة النفس المستمرة: ولكي يزداد النمو الروحي ويستمر فلا بد من الوقوف مع النفس وقفات دائمة مستمرة، والمحاسبة هي ذلك الميزان الدنيوي الذي يستخدمه المرء المسلم لتصحيح مساره وتعديل سلوكه مستضيئاً

(1) البخاري، صحيح البخاري، باب التواضع، ج/5، ص2384، مرجع سابق.

(2) سورة الحج، الآية 77.

(3) يوسف أبو هلاله، دعوة الفطرة، دار العاصمة، الرياض، ص122.

(4) سورة المطففين، الآية 14.

(5) مسند الإمام أحمد، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، ج/1، ص402، مرجع سابق.

في ذلك بهدي الكتاب والسنة، قال تعالى: (ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممّا فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحداً)⁽¹⁾ وينادي الله عباده المؤمنين مطالباً إياهم بالحاسبة فيقول: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون)⁽²⁾.

وتعد منزلة المحاسبة من أفضل المراتب؛ لأنها تحتاج إلى مراقبة دائمة ومجاهدة مستمرة للنفس الإنسانية، قال تعالى: $\text{چ} \text{ث} \text{ث} \text{ث} \text{ه} \text{ه} \text{ب} \text{ه} \text{چ}$ ⁽³⁾، وعن فضالة بن عبيد ت قال: سمعت رسول الله يقول: «المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله عز وجل»⁽⁴⁾،

هـ- **القراءة والاطلاع:** فالقراءة هي جسر الاتصال مع الأجيال السابقة، وتنمي أفق الإنسان وتفكيره، وتزيد من قدرته على حل المشكلات، فالقراءة تنمي كافة الجوانب وإن كان يتبادر إلى الذهن أنها قاصرة على الجانب العلمي وحده، ومما يزيد في أهميتها كونها أول كلمة في الوحي: (اقرأ باسم ربك الذي خلق)⁽⁵⁾ وتعد القراءة وسيلة مهمة لتحصيل العلم الشرعي وإدراكه ووسيلة لتوسيع المدارك والقدرات وللتعويد على البحث والاستفادة من تجارب الآخرين، وتعد أيضاً عنصراً هاماً من عناصر التربية الذاتية فالقراءة في كتب الأخلاق والآداب تصلح السلوك، وفي كتب أهل العلم تنير العقل، وفي تراجم العلماء تزيد حماس للعلم والدعوة والبذل لدين الله، وهي بدورها من الوسائل المهمة في التربية الذاتية للإنسان والرفع من قيمته وقدره،

و- **اكتساب المهارات:** الإنسان في حياته الخاصة حين يريد إتقان نشاط أو حرفة معينة، كالسباحة أو قيادة السيارة مثلاً، فإنه لا يكتفي بالجانب النظري، بل لا بد أن يعني نفسه بالتدريب والممارسة، كذلك العقل ينبغي ألا يكون مجرد تراكم معرفي لا يستطيع الحراك به في حياته، بل لا بد أن تتطور المعرفة العقلية لتنعكس مهارات حياتية، واكتساب المهارات والخبرات له عدة وسائل منها: حضور الدورات التدريبية التي تعنى بالمهارات التي يجب أن يكتسبها الفرد سواءً أكانت هذه المهارات شخصية ذاتية يحتاجها لتنمية ذاته، كإدارة الذات، وإدارة الوقت، أم ترتيب الأولويات، أم حل المشكلات واتخاذ القرارات أم بناء العلاقات والاتصال بالآخرين، أم مهارات وظيفية تحتاجها طبيعة العمل الذي يقوم به إن كان طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو موظفاً لقطاع خاص، فلا يكفي حضوراً لدورة تدريبية لاكتساب المهارة بل لا بد من ممارسة ما تعلمه الفرد وتدريب عليه في الدورة التدريبية حتى

(1) سورة الكهف، الآية 49.

(2) سورة الحشر، الآية 18.

(3) سورة العنكبوت، الآية 69.

(4) مسند الإمام أحمد، وقال الألباني: إسناده جيد كما في السلسلة الصحيحة برقم 1496، ج/6، ص22، مرجع سابق.

(5) سورة العلق، الآية 1.

يستطيع اكتساب المهارة ويحتاج ذلك إلى التجريب والاستفادة من الأخطاء ليبنى عليها ما هو صواب⁽¹⁾ وأما على صعيد المجتمع فيكمن دوره في التنمية الذاتية للفرد من خلال التوجيه والإرشاد لطوائف المجتمع بحسب أعمارهم في شتى المجالات التعليمية والتثقيفية من خلال المساجد، والمؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية المختلفة، والدورات العلمية المكتفة.

نتائج البحث:

وقد توصلت من خلال البحث إلى نتائج أهمها:

- 1- إن التنمية الذاتية هي ذلك الجهد الذي يبذله الفرد لتطوير مهاراته وقدراته بمختلف المجالات.
- 2- اهتمام الإسلام بموضوع التنمية الذاتية واعتبارها ركناً من أركان بناء الشخصية.
- 3- تكامل وشمول جوانب التنمية الذاتية في الإسلام وتعددتها لتشمل جوانب عدة منها الإيمانية، والعبادية، والعلمية، والأخلاقية، والإنتاجية، والجسدية.
- 4- ظهور حاجة جميع الأفراد في المجتمع إلى التنمية الذاتية لتنعكس على عطائهم واهتمامهم.
- 5- تعدد وسائل تنمية الفرد لذاته فتشمل اهتمامه بأداء الفرائض الشرعية باختلافها، والاستزادة من النوافل، واجتناب المعاصي، ومحاسبة النفس المستمرة، والقراءة والاطلاع، واكتساب المهارات.
- 6- يسهم المجتمع في تحقيق التنمية الذاتية للفرد من خلال البرامج التعليمية والثقافية والإعلامية، وكذلك من خلال القدوة العملية وإزالة التناقض.
- 7- تحقق آثار التنمية الذاتية على الفرد، فهي تسعى لتحقيق أهداف يجني ثمارها الفرد لوقاية عقله وفكره من التخلف وتسعى لتطوير مهاراته وقدراته، وتحقيق فيه جوانب الاتزان في الشخصية بكل جوانبها.
- 8- تنعكس آثار التنمية الذاتية التغييرية للفرد بحيث يستفيد منها لمجتمع وذلك من خلال المشاركة الفاعلة من الفرد في عملية التنمية الشاملة المرادة داخل المجتمع.

التوصيات:

- 1- توجيه الطلاب إلى الاعتزاز بالمقومات الأساسية للأمة والمتمثلة في دينها، ولغتها، وتاريخها، وثقافتها، بما يقوي علاقة الطلاب بتلك المقومات فهماً وممارسة، وأداءً واعتزازاً، وبما ينمي في الطلاب الوعي السياسي والاجتماعي.
- 2- بث روح البحث العلمي الجاد القائم على أسس سليمة، وغرس حب العلم والعلماء، والاستمتاع بالمعرفة، وإشاعة روح التنافس العلمي وتقديم كل ما هو جديد وأفضل.

(1) للاستزادة انظر "مهارات تطوير الذات" للحمادي ص 19.

- 3- تكثيف برامج الارتقاء بالذات وتنميتها على كافة الأصعدة والمجالات، والعمل على إيجاد شخصيات مستقلة في ذواتها معرفة، وتفكيراً، وإدارة.
- 4- إيجاد برامج تكسب الطلاب مهارات الإبداع، والإتقان، والابتكار، والاستيعاب والفهم في مجالات الحياة المتعددة.
- 5- إعداد الطلاب وتأهيلهم لسوق العمل بما يتوافق مع رغباتهم وميولاتهم، حتى يكون الإتقان، والإبداع في العمل بحسب الميولات والرغبات.
- 6- إشاعة روح القراءة وحب الاطلاع على كل المستويات، في المدرسة، في المواصلات، في البيوت، في أماكن الانتظار في أماكن العمل وساعات الدوام، وحيثما اتجهت وجدت الجميع يقرأ، فتنشأ أجيال لا ترى ما حولها إلا وهو يقرأ وينتفع بوقته، فيبدأ بمحاكاة ما يشاهده.
- 7- عقد الندوات والمسابقات وإحياء روح التنافس الثقافي وتبادل المعلومات على كافة المجالات.
- 8- تفعيل وظيفة التوجيه وهي إحدى وظائف الإعلام، في توجيه الأفراد بدورهم في حياتهم، وما واجههم تجاه أمتهم.
- 9- تقديم كل ما هو جديد ونافع ويرتقي بالقيم ويسمو بها، وتجريد غير اللائق من المسلسلات والأفلام والتي لا تليق بقيمتنا وأخلاقنا الإسلامية.
- 10- إزالة التناقض في الحياة واعتماد القدوة العملية على أسس جديدة لا تتناقض مع توجهات الأمة، أو عقيدتها أو مثلها وقيمتها وإتزام وسائل التوجيه في البيت والمدرسة والمجتمع ووسائل الإعلام بالربط بين الأقوال والأفعال، والحقائق.

قائمة المصادر والمراجع:

+ القرآن الكريم.

1. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، العبودية، بيروت، دار الكتب العلمية، 1980م.
2. ابن حبان، أبو حاتم، محمد حبان البستي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993م.
3. ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الفكر، بيروت.

4. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، مسند أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
5. ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، دار الفكر، 1994م، بيروت.
6. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
7. أبو هلاله، يوسف محي الدين، دعوة الفطرة، دار العاصمة، الرياض.
8. الأهدل، الدكتور هاشم علي، التربية الذاتية من الكتاب والسنة، دار المعالي، 1421هـ، عمان.
9. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير اليمامة، 1987م، بيروت.
10. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية، 1989م، بيروت.
11. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، مسند البزار، مؤسسة علوم القرآن، 1409هـ، بيروت.
12. البيهقي، أحمد بن الحسين، سنن البيهقي الكبرى، مكتبة دار الباز، 1984م، مكة المكرمة.
13. البيهقي، أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، 1410هـ، بيروت.
14. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الصحيح سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، 2000م، بيروت.
15. الجابري، بشير شكيب، القيادة والتغيير، دار حافظ، 1414هـ، جدة.
16. الحمادي، الدكتور علي، مهارات تطوير الذات، برنامج تدريبي، مركز التفكير الإبداعي، دبي.
17. الخطيب وآخرون، محمد شحات، أصول التربية الإسلامية، دار الخريجي، 1415هـ، الرياض.
18. الدويش، محمد، التربية الذاتية، نقلاً عن www.almurabbi.com، 2008م.
19. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، دار الفكر، 1981م، بيروت.
20. الزحيلي، الدكتور وهبة التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، 1415هـ، دمشق.
21. الزحيلي، الدكتور وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، 1405هـ، دمشق.
22. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، دار الفكر، 2000م، بيروت.
23. الشحود، علي بن نايف، موسوعة المفاهيم الإسلامية، المكتبة الشاملة، 2008م.
24. الشرجي، ياسين، تنمية الذات، برنامج تدريبي غير منشور.

25. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مكتبة العلوم والحكم، 1983م، الموصل.
26. العناني، حسن، التنمية الذاتية والمسؤولية في الإسلام، مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، جدة.
27. الغزالي، محمد، فقه السيرة، دار القلم، 1998م، دمشق.
28. القرضاوي، الدكتور يوسف، في فقه الأولويات، مؤسسة الرسالة، 2000م، بيروت.
29. المالكي، الدكتور عبد الرحمن عبد الله، مهارات التربية الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، كتاب
30. النجار، ربا عبد الرحمن، ملامح التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي " دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية، 2009م، غزة.
31. الهنداوي، حسن بن إبراهيم، التعليم وإشكالية التنمية، وزارة الأوقاف والإرشاد، 2003م، قطر.
32. سعيد، جودت، حتى يغيروا ما بأنفسهم، دار الفكر المعاصر، 1993م، دمشق.
33. سعيد، جودت، مذهب ابن آدم الأول، دار الفكر المعاصر، 1993، بيروت.
34. قطب، الدكتور محمد، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، 1980، بيروت.
35. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، 1400هـ، بيروت.
36. محجوب، الدكتور عباس، الشباب والتنمية رؤية تربوية إسلامية، عالم الكتب الحديث، إربد.
37. مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، 1972م، بيروت.
38. مصطفى وآخرون، إبراهيم، المعجم الوسيط، دار الأمواج، 1990، بيروت.
39. الأمة 2005م، الدوحة.